

خطاب المقدمات النقدية في السرد القطري (مقاربة جديدة... سرد متجددة)

The Discourse of Criticals Introductions in the Qatari Narrative (A new approach ... a renewed narrative)

عبد الحق بلعابد

أستاذ نظرية الأدب والأدب المقارن المشارك
قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر
وجامعة الجزائر

الملخص:

تعد دراسة العتبات من أهم الدراسات النقدية المعاصرة، منذ مؤسسها الناقد الفرنسي (ج.جينيت)، إلى الآن، وهي تعرف انتشارا واسعا في البحوث النقدية الغربية والعربية على حد سواء، لهذا سنحاول مقاربة أحد أهم عناصر هذه العتبات، والتي لم يلتفت إليها النقد العربي، وهي تلك المقدمات النقدية التي تصاحب النص الأدبي لتحلله، وتأوله من بدايته، ولكي نعرف هذه العتبة ومكوناتها وكيف نحللها، اخترنا لذلك خطاب المقدمات النقدية في السرد القطري.

الكلمات المفتاحية: الخطاب - العتبات - المقدمات النقدية - السرد القطري

Abstract:

The study of thresholds is one of the most important contemporary critical studies since its founding by the French (G.Gennet) until today, which is widely known in Eastern and Western critical research. In order to doing it, we will try to tackle one of the most important elements of these thresholds, and those which were not addressed by the Arab critic and these are the criticals introductions that accompany, analyze and interpret the literary text from the its beginning.

In order to understand the components of this threshold and how it is analyzed, we have chosen the discourse of criticals introductions in the Qatari narrative.

Keys word: Discourse- thresholds- Criticals Introductions- Qatari Narrative

مقدمة:

يعد مبحث العتبات ودراسة مداخل النصوص، من بين أهم المباحث النقدية الجديدة داخل المؤسسة النقدية الغربية، حيث ما يزال يعرف حراكا تنظيريا وتطبيقيا حول مكوناته التحليلية (ومنها المقدمة النقدية) بين النقاد منذ مؤسس مبحث العتبات الناقد الفرنسي (ج.جينيت) منتصف الثمانينيات إلى الآن.

وبعد هجرة هذا المبحث النقدي إلى المؤسسة النقدية العربية في بدايات تسعينيات القرن الماضي، بدأت تظهر دراسات جادة تشتغل على المداخل النصية، واعية بضرورة أن النص يتساءل من عتباته ويقرأ من مداخله الأولية، قبل تحليل بنياته الداخلية، فكثرت البحوث حول العنوان والإهداءات وصور الأغلفة تحديدا، إلا أن مقاربة المقدمة عامة والمقدمة النقدية على وجه التحديد، لم تجد كبير اهتمام في الدراسات النقدية، لجهة المبحث من جهة، ولعدم الاهتمام البحثي من جهة أخرى، إلا ما جاء عرضا في فصل من كتاب، أو في بحث منفصل يستعرض الجانب التنظيري دون أن يقدم أمثلة تحليلية عما يشتغل عليه من عتبات.

ولأهمية الموضوع حاولنا الاجتهاد داخل المؤسسة النقدية العربية لنقدم للقارئ العربي مقاربة جديدة من وجهة نظر شعرية العتبات، باختيارنا إحدى هذه العتبات؛ ونعني بذلك المقدمات النقدية التي تصاحب بعض النصوص الإبداعية.

بعد اختيار المقاربة النقدية، جاء الدور على اختيار الأعمال الأدبية التي سنحلل مقدماتها، ووقع الاختيار على السرد القطري الذي يعرف في السنوات الأخيرة تراكما سرديا داخل الإبداع العربي، خاصة القصة القصيرة، وهذا ما جعلنا نختار الاشتغال على بعض من المقدمات النقدية المصاحبة لها.

وقد استعان هذا البحث بمجموعة من الدراسات التي سبقته في الموضوع، والتي قاربت المقدمة عامة أو المقدمة في النقد القديم فقط، أما المنهج المتبع في هذا البحث، فلن يخرج على منهج شعرية العتبات الذي أسسه (ج.جينييت) في مشروعه النقدي عن الشعرية، وخصوصا في كتابه العمدة (عتبات)، والذي يعتمد المقاربة الوصفية أساسا، لفهم مداخل النصوص.

وبعد طول تأمل وجدنا أن هذا البحث يجمع بين فضيلتين علميتين، أولاها المقاربة الجديدة التي ما تزال تشق طريقها المعرفي باحتشام في النقد العربي المعاصر— وثانيها المدونة السردية المعتمدة للبحث الخاصة بالسرد القطري الذي تعد كتاباته حديثة العهد أمام ما أنتج في الإبداع العربي، غير أنه يبني خصوصيته من خلال ما ينتج الآن، لكل الاعتبارات السابقة فإن نتائج البحث ستحاول جذب انتباه الناقد العربي إلى مداخل النصوص، والإسهام فيها بالتنظير والتطبيق على نصوص قديمة وحديثة؛ لأن العتبات هي أول ما يقرأ من النص الأدبي، فهي بذلك مناط الثريا التي تضيئ عوالم النص، والتأريخ للأدب العربي عامة، والوقوف على بعض خصوصيات الأجناس الأدبية، ومقاصد الكتاب النقدية وغاياتهم الأدبية، وبهذا نعيد إرثا منسيا من أدب الكتاب ودواوين الإنشاء، استنادا إلى مقاربات نقدية معاصرة تحمنا على الإسهام في تجديد خطاب النقد الأدبي العربي.

أولا: في خطاب المقدمة النقدية:

إن الحركية النقدية التي تعرفها المؤسسة النقدية العربية، أملت عليها تغيير عاداتها في مقاربة الخطاب الأدبي وتحليله، لهذا سعت إلى تجديد آلياتها النقدية، ولعل الاهتمام بمداخل النصوص الأدبية وعتباتها أحد آليات التحليل التي راهنت عليها المباحث النقدية الجديدة لتحديث خطابها،

تماشيا مع ما جاء به (ج.جينييت) أحد أهم مؤسسيها في العصر الحديث، إذ ألمح في خاتمة كتابه (عتبات)؛ إلى أن خطاب العتبات، خطاب حضاري وثقافي عرفته الكثير من الأمم واشتغلت عليه من خلال إمكاناتها المتاحة في صناعة الكتاب، وفن التأليف؛ لهذا ركز في بحوثه على حضارة نشأ ضمنها وهي الحضارة الغربية، وترك دراسة عتبات الحضارات الأخرى لأبنائها ليجتهدوا في البحث عن حدودها ومحدداتها وظروف نشأتها وتطورها، لتصبح بعد ذلك تقليدا تأليفيا وعرفا كتابيا لا يمكن لأي شاعر أو كاتب الخروج عنه إلا فيما ندر.

1-1- خطاب المقدمة النقدية في الحضارة العربية: يرتبط خطاب العتبات في الحضارة العربية عامة، بفنون التأليف والتدوين، وصناعة الكتابة⁽¹⁾، التي تقوم على قواعد مضبوطة، وشروط محكمة، لا يمكن تجاوزها، وهذا ما يظهر لنا الوعي الكبير بطرائق التأليف التي كانت معروفة عند أصحاب دواوين الإنشاء كما وردت في كتب متخصصة كثيرة منها (أدب الكاتب لابن قتيبة والصولي، وإحكام صناعة الكلام للكلاعي، وصبح الأعشى للقلقشندي)⁽²⁾.

¹- مصطفى الشكعة، التأليف عند العلماء العرب (قسم الأدب)، دار العلم للملايين، ط1، سنة 1998، بيروت لبنان.

²- عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص (دراسة في مقدمات النقد العربي القديم)، دار إفريقيا الشرق، 2000، المغرب.

فأغلب ما احتقى به الكاتب العربي هو تدبيح خطبته وتتميق مقدمته وتهذيبهما، لتكونا ملائمتين للغرض المقصود؛ لأن المقدمة أول ما يقرأ، وأول ما تقع عليه الأبصار فيرسخ في ذهن القارئ والمستمع، فهي بذلك مدخل رئيس وطبيعي لفهم أحوار النص⁽³⁾، متوسلة في ذلك بوظيفتين أساسيتين هما تقديم خطة الكتاب من جهة، وتوجيه قراءته من جهة أخرى، لتكون خطابا واصفا للكتاب، تتكلم عنه وتصفه من أوله.

ولم يكن هذا بغائب عن أرباب صنعة التأليف، فكثير ما أشاروا إلى ما يلزم الكاتب أن يتحلى به وهو يتصدى للتأليف، واطلقوا على ذلك بالرؤوس الثمانية، كما أشار إليه (التهانوي) في هذا النص الدقيق الكاشف عن معالم العتبات ومعانيها، يقول:

"الواجب على من شرع في شرح كتاب ما أن يتعرض في صدره لأشياء قبل الشروع في المقصود يسميها قدماء الحكماء الرؤوس الثمانية، أحدها الغرض من تدوين العلم وتحصيله... وثانيها المنفعة... وهي الفائدة المعتد بها ليتحمل المشقة في تحصيله ولا يعرض له فتور في طلبه، وثالثها السمة وهي عنوان الكتاب ليكون عند الناظر إجمال ما يفصل الغرض...، ورابعها المؤلف وهو مصنف الكتاب ليركن قلب المتعلم إليه في قبول كلامه والاعتماد عليه لاختلاف ذلك باختلاف المصنفين، وخامسها أنه من أي علم هو؛ أي من اليقينيّات أو الظنيّات، من النظريات أو العمليات، من الشرعيات أو غيرها ليطلب المتعلم ما يليق به من المسائل المطلوبة له، سادسها أنه من أي مرتبة هو؛ أي بيان مرتبته فيما بين العلوم إما باعتبار عموم موضوعه أو خصوصه أو باعتباره توفقه على علم آخر أو عدم توفقه عليه أو باعتبار الأهمية أو الشرف ليقدم تحصيله على ما يجب أو يستحسن تقديمه عليه، ويؤخر تحصيله عما يجب أو يستحسن تأخيرها عنه، وسابعها القسمة، وهي بيان أجزاء العلم وأبوابه ليطلب المتعلم في كل باب منها ما يتعلق به ولا يضيع وقته في تحصيل مطالب لا تتعلق به كما يقال: كتابنا هذا مرتب على مقدمة وبابين وخاتمة، وهذا الثاني كثير شائع لا يخلو عنه كتاب، وثامنها الأنحاء التعليمية وهي أنحاء مستحسنة في طرق التعليم، أحدها التقسيم وهو كثير من فوق إلى أسفل، وثانيها التحليل وهو عكسه، أي التكتير من أسفل إلى فوق، أي من أخص إلى ما هو أعم..."⁽⁴⁾.

فهذا النص بحق جامع لخطاب العتبات، كما أنه أتى على المقصود من خطاب المقدمة وحدد وظائفها، وبين مقصدها، بدقة ما أورده (التهانوي) في كشفه، تجعلنا نحس كأننا أمام تحديدات (ج.جينييت)، وهذا يعبر عن إرث عتباتي استلهمه التهانوي من أسلافه، لتصبح مقدمة الكتاب عرفا تأليفيا، وتقليدا كتابيا، إذ لا يخلو كتاب لمتقدم أو متأخر إلا صدره بمقدمة ذكرا فيها دواعي تأليفه، ومقدما فيها خطة مؤلفه، وعارضا فيها مادته وقضاياها.

والملاحظ أن القدماء في أغلب تسمياتهم يطلقون على المقدمة (الخطبة) وهذا من بقايا العقل الشفاهي العربي، وذلك قبل انخراطهم في عصر التدوين أو ظهور العقل الكتابي العربي كما هو ظاهر فيما أشار إليه التهانوي وغيره، لتصبح المقدمة عندهم فضاء للخطط الكتابية، وأقفا لانتظارات القارئ.

إن الحدّ اللغوي للمقدمة متساوق مع حدها الاصطلاحي المذكور، وهذا ما لاحظه ابن منظور في لسانه، لما تجاوز في تعريفها الشرط اللغوي إلى الشرط الاصطلاحي لكثرة تداولها على الألسنة، يقول في مادة (قدم) : " قالوا: القدم والسابقة ما تقدموا فيه غيرهم... وقيوم كل شيء وقيومه: أوله... ومقدمة الجيش (يكسر الدال) أوله، وقد استعير لكل شيء قيل: مقدمة الكتاب، ومقدمة الكلام (يكسر الدال)، وقيل: مقدمة كل شيء أوله..."⁽⁵⁾، كما سميت مقدمة البناء

³ - يوسف الإدريسي، عتبات النص (بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر)، منشورات مقاربات، ط1، 2008، المغرب، ص 35-38.

⁴ - التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، دار الصادر، دت، بيروت لبنان، ج 1، ص 11.

⁵ - ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، ط3، سنة 1993، بيروت، لبنان، ج1، ص 466.

أساساً، لتكون بذلك الأساس الذي يبنى عليه المتن، بتلخيصها لمجمل ما سيأتي به، غير أن تسميات المقدمة الأخرى بقيت جارية في الاستعمال فمرة خطبة، ومرة تمهيد، وتارة استهلال...⁽⁶⁾.

وهذا الحديث عن حدود المقدمة ومحدداتها، يجرنا إلى مكونات المقدمة في الخطاب المقدماتي العربي القديم:

1-2- مكونات خطاب المقدمة (النقدية): إن خطاب المقدمة عامة، وخطاب المقدمة النقدية على وجه الخصوص، لا يخلو من مكونات أساسية حرص عليها الكتاب القدماء وحصرها، لأهميتها وإبانيتها على اهتمام الكتاب بكتبهم ومؤلفاتهم، وقلما وجدنا كتاباً عربياً من هذه المصاحبات النصية، وهي على الجملة⁽⁷⁾:

- البسمة، والحمدلة، والتصلية، والتسليم.
- جنس التأليف.
- خطة التأليف.
- المصادر المذكورة (أو مكتبة الأليف).
- تقريظ التأليف.
- نقد المصادر السابقة.
- زمان ومكان التأليف.
- الحمد والشكر (في الخاتمة).

غير أن هذه العناصر لا تسلم لأصحابها في كافة مؤلفاتهم وكتبهم؛ لأن منها العناصر الأساسية الثابتة (كاسم المؤلف، والعنوان، خطة المؤلف...)، ومنها العناصر الثانوية التي يمكن الاستغناء عنها إذا لم يكن هناك داع للإتيان بها، مثل (نقد المصادر، تقريظ الكتاب...)، وهذا دال على سنة التأليف التي كان يحترمها الكتاب والمشتغلون في دواوين الإنشاء عامة.

يقودنا هذا المبحث إلى معرفة أنواع المقدمات التي اختطها القدماء وأقسامها، مراعين وضعيات الإنتاج من جهة، ووضعيات التلقي من جهة ثانية، ويمكن أن نجعلها في ثلاث مقدمات⁽⁸⁾:

1- مقدمات موسعة: وهي تلك المقدمات التي استدعى فيها المؤلف كل مكونات خطاب المقدمة التي ذكرناها سابقاً، ومثل هذه لا نجدتها في زمن التأليف الأول.

2- مقدمات ضيقة: وهي مقدمات لا تأتي بكل مكونات المقدمة المعهودة، بل يعمل المؤلف على تضيق مساحة إيرادها، مقتصرًا على الأهم منها كذكره لدواعي التأليف وجنس الكتاب وخطته.

3- مقدمات مضافة: وهي مقدمات لم تكن في أصل الكتاب، ولم يكتبها صاحبها بنفسه، بل هي من إضافات النساخ (علماء، أو طلبة المؤلف) على اعتبار أن بعض العلماء في القديم كانوا يعقدون مجالساً للإملاء، فلم يسعفهم الوقت أو العمر لجمعها في كتاب، ووضع مقدمة لها، فيتكفل تلامذتهم بذلك بعدهم، وقد انتشرت هذه الظاهرة في الصدر الأول من حركة التأليف.

كما أن لهذه المقدمات خصائص لا بد من الكشف عليها ومعرفتها، نجعلها في الآتي:

⁶- عبد الرزاق بلال، عتبات النص، ص 35-38.

⁷- مصطفى السلوي، عتبات النص (المفهوم والموقعية والوظائف)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رقم 71، جامعة محمد الأول بوجد، ط1، 2003، المغرب، ص 29-66.

⁸- المرجع نفسه، ص 24-25.

1-3- خصائص خطاب المقدمة (النقدية): إن الوعي بخطاب المقدمات عند أصحاب التصانيف العلمية والأدبية والنقدية، جعلهم يهتمون خصائصها وأدوارها المميزة في صنعة التأليف، وهذا لما تحمله من سلطة خطابية لإقناع المتلقي بالكتاب والتأثير فيه بموضوعاتها، لهذا كان الحرص الشديد على خصائصها البنيوية والأسلوبية، والمعرفية⁽⁹⁾:

1- الخاصية التركيبية والأسلوبية:

كان الحرص في المقدمة على حسن صياغة جملها، والتأنق في تدبيح ألفاظها، وهذا بالاعتماد على أسلوب لطيف يأخذ بالألباب، يعتمد بالأساس على السجع والمجانسة، والمطابقة.

2- خاصية الإيجاز والتلخيص:

لا بد للمقدمة أن تكون دقيقة اللفظ رفيعة المعنى في إيجاز دون تطويل، وإعجاز دون تهويل، فلا تكون كخطبة كتاب ابن قتيبة (أدب الكاتب) التي قيل فيها إنها خطبة بلا كتاب لتطويلها⁽¹⁰⁾، وما أخذه ابن الأثير على ابن الدهان لما أطال مقدمته في المآخذ الكندية وقصر من الكتاب الذي وضعت المقدمة من أجله⁽¹¹⁾، فالاختصار والتلخيص من سمات المقدمات.

3- خاصية الإسجام والاتساق مع الغرض المقصود: لا بد للمؤلف أن يحرص على انسجام ما يأتي به من معلومات في مقدمته مع موضوع كتابه، وهذا ما نبه إليه كثيرا أصحاب هذا الفن لما قالوا: "إشارة الصدور إلى الغرض المذكور"⁽¹²⁾، لأن في هذه المنطقة الإستراتيجية يتم اكتشاف حسن العمل من جهة، ويتم الإعداد إلى ميثاق القراءة الذي سيهتدي به القارئ في فهمه للكتاب/النص ومن جهة أخرى.

1-4- وظائف المقدمة (النقدية)⁽¹³⁾: و سنتحدث في هذه النقطة عن وظائف المقدمة عامة، والتي ستسحب على المقدمة النقدية أيضا، كما نظر إليها العلماء القدماء، ويمكن إجمالها في ثلاث وظائف مهمة⁽¹⁴⁾:

1- الوظيفة التأصيلية:

وهذه الوظيفة ينسحب عليها سؤال لماذا؟، كما سيأتي مع (ج.جينييت)؛ أي لماذا ألف المؤلف هذا الكتاب؟، وهو سؤال لا يقتصر على الكاتب فقط، بل يطرحه القارئ أثناء القراءة أيضا، ليدور هذا السؤال حول أهمية الكتاب وجدته، وإعلان الكاتب عن ميثاقه الكتابي من دواعي التأليف، وجنس المؤلف، وخطة التأليف، وزمان التأليف ومكانه... وهي أم هذه الوظائف.

⁹- عبد الرزاق بلال، عتبات النص، ص 39-41.

¹⁰- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الأعيان، ت: إحسان عباس، دار الصادر، مج 6، 1978م، بيروت، لبنان، ص 400.

¹¹- ابن الأثير، الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة المآخذ الكندية في المعاني الطائفة، ت: حفني محمد شرف، مكتبة أنجلو المصرية، ط1، 1958م، مصر، ص 2.

¹²- الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، د.ت، بيروت، لبنان، ص 66-67-69.

¹³- مصطفى السلوي، عتبات النص (المفهوم والموقعية والوظائف)، ص 26-29.

¹⁴- كما تجدر الإشارة أن هذه الوظائف ووظائف مؤقتة، يمكن للدارس المجتهد الذي يعزم على دراسة كل المقدمات الوارد في كتب العلماء العرب من أن يقف على وظائف أخرى، وهذا يحتاج إلى جهد جماعي، غير أن هذه الوظائف تحمل السمات العامة للمقدمات العربية.

2- الوظيفة التواصلية: تقوم هذه الوظيفة على فعل التواصل المتحقق بين مؤلف الكتاب ومتلقيه، لتجيب عن سؤال عتباتي مهم وهو (لمن ألف هذا الكتاب؟)، وهو يشير إلى الدافع الذاتي في تأليف الكتاب (أي الشخص الذي أمر أو أشار أو رغب المؤلف في تأليف الكتاب)، إلى جانب التنبهات التي يأتي بها الكاتب ليثير ويؤثر في قارئه.

3- الوظيفة التفصيلية:

لا تقل هذه الوظيفة أهمية عن الوظيفة التأصيلية؛ لأنها تدور على سؤال مناصي مهم وهو (كيف ألف هذا الكتاب؟)، يقدم لنا الكيفيات المعتمدة في صناعة المقدمة من حيث أغراض الكتاب ومقاصده، وخططه المعتمدة في التأليف، وهي منطقة التعاقد مع القارئ وتحديد أين ينشأ ميثاق القراءة بينهما. تظهر من خلال ما أسلفناه بعض حدود ومحددات الخطاب المقدماتي داخل المؤسسة النقدية العربية، والتي تحتاج منا اليوم الكثير من البحث لربط ما انفصل منها، وإعادة بناء خطاب العتبات من منظور عربي غير معزول عن التطورات النقدية الحاصلة داخل المؤسسة النقدية العالمية الآن.

2- خطاب المقدمة النقدية في الحضارة الغربية:

لقد قطع درس خطاب العتبات أشواطاً تنظيرية وتطبيقية كبيرة داخل المؤسسة النقدية الغربية، تماشياً مع التطور المعرفي والتكنولوجي السريع الحاصل في الحضارة الغربية من مطبعة غوتنبرغ البسيطة إلى المطابع الرقمية ثلاثية الأبعاد في صناعة الكتاب والاهتمام بعتباته، ومن بين أهم عناصر العتبات نجد المقدمة عامة، والمقدمة النقدية على وجه الخصوص، والتي عرفت تحديداً متنوعة في الدرس النقدي الغربي، إلا أننا سنركز على التحديد الذي قدمه (ج.جينيت) كأحد أبرز الدارسين والمؤسسين لخطاب العتبات عامة (ومنه خطاب المقدمة)، والذي يرى فيه، مصطلحاً متداولاً ومستعملاً في تقاليد اللغة الفرنسية بمعنى ذلك الفضاء من النص الافتتاحي (بدئياً كان أو ختمياً، والذي يعنى بإنتاج خطاب بخصوص النص لاحقاً به أو سابقاً له، لهذا تكون المقدمة البعيدة أو الخاتمة مؤكدة حقيقة المقدمة⁽¹⁵⁾).

لذا يميز "جاك دريدا" بين المقدمة والاستهلال، فالمقدمة لها علاقة أكثر نظامية وأقل تاريخية وظرفية لمنطق الكتاب، فهي وحيدة، تعالج قضايا أساسية وسخية⁽¹⁶⁾، وهي بهذا تظهر المفهوم العام في تنوعها واختلافيتها الذاتية عكس الاستهلال الذي يظهر تاريخيته الأكثر تجريبية، واستجابته للضرورة الظرفية.

كما تختلف المقدمة عن باقي عناصر المناص كاسم الكاتب والعنوان مثلاً، لعدم طرحه مسألة الحضور والغياب، لأنه كثيراً ما يغيب عكس بقية عناصر العتبات الضرورية للكتاب/النص.

كما أن نظامها الشكلي والنموذجي المتداول، يتخذ إما شكل **الخطاب النثري**، في صيغ سردية أو درامية، كما يمكنه أن يتخذ شكلاً شعرياً.

2-1 وظائف خطاب المقدمة (النقدية): ولكن "ماذا نعمل بالمقدمة؟"، من هذا السؤال البسيط سعى "جينيت" إلى وضع نمذجة جديدة لوظائف المقدمة⁽¹⁷⁾، محددًا أنماط المرسلين، ومركزاً بالأساس على المقدمة الأصلية، أو ما يعرف بمقدمة المؤلف مع تحذيره من مغبة التداخل الموجود بين وظائف المقدمات (المقدمة الأصلية، واللاحقة، والمتأخرة)، لأن نظام المقدمة يخضع لحركية المقدمة نفسها.

¹⁵ -G.Genette,seuils,ed.du seuil,paris,1987,pp.164-165.

¹⁶ - المرجع نفسه.

¹⁷ - ولتعمق أكثر ينظر الكتاب المهم لـ(جاك دريدا)، وهو (التشتيت)، أين يقارب خطاب المقدمة الفلسفية وما قدمه لها من تحديد، فيما أسماه (بخارج الكتاب):

-Jaques Derrida,La Dissémination,ed.du seuil,paris 1972,pp.9-68

إن المقدمة التأليفية تتخذ وظيفة مركزية هي **وظيفة ضمان القراءة الجيدة للنص** على الرغم من بساطة هذه المعادلة إلا أنها أكثر تعقيدا مما نعتقد، كونها تجعلنا نحلل فعلين ترتين بهما هذه المقدمة:

- فالشرط الأول يحمل **الضمانة**، أي حائز على قراءة.
 - أما الشرط الثاني، فضروري ولكن غير كاف، بأن تكون هذه القراءة التي حاز عليها (النص) جيدة⁽¹⁸⁾.
- والملاحظ أنهما مرتبطان بالكاتب أو بتعبير أدق بالمقدمة التأليفية ومدى مقروئية الكتاب، لهذا فهو يطرح على قرائه سؤالاً مهما يعد الموجه الأساس لقراءتهم للكتاب عامة، وهو: **لماذا وكيف يمكننا قراءة هذا الكتاب؟**

1-وظائف سؤال لماذا؟ :

يجذب قارئه، لما يبذله من جهد معتبر للحصول على الكتاب، إما شراء أو إعارة، يحركه في ذلك دافع الفضول، وينشطه في ذلك أيضا القدرة الإقناعية للكتاب، ويحركه قرائيا تلك المقدمة النقدية التي يصدر بها الكاتب عمله وكأنها دعوة منه للقارئ (لقبول أسلوبه... أو قبول مهارته التركيبية...، فسؤال لماذا؟، يحمل في أطوائه الجواب عن مقدمته، لأن المقدمة مفتاح إجرائي توجيهي لتقييم الكتاب عامة، وفهم النص وتقييمه من القارئ على وجه الخصوص، لهذا نجده يتم فصل على نفسه لوظائف ثوان منها:

1-1-وظيفة الأهمية: أين تظهر المقدمة الأهمية البالغة لما نقرأه في الكتاب سواء أكانت هذه الأهمية:

أهمية معتبرة، أهمية توثيقية، أهمية فكرية وثقافية، أهمية دينية وإيدولوجية، أهمية الأخلاقية، أهمية اجتماعية وسياسية.

1-2- وظيفة الحداثة والقدامة: وهي من الموضوعات التي تظهر أهمية السؤال المقدماتي لماذا؟؛ أي لماذا هذه

المقدمة الجديدة أو الحديثة لموضوع قديم مثلا، لأن تناول نفس الموضوع سيختلف حتما، وهذا للخلفية

المعرفية والتاريخية والثقافية للكاتب، فهي مقدمة على المقدمة سيجيب عنها سؤال لماذا؟.

1-3-وظيفة وحدة العمل: تعد هذه الوحدة من مظاهر سؤال لماذا المقدماتي، حيث تظهر مدى الوحدة الشكلية

والموضوعاتية للمقدمة الذي يرسم مشروع العمل، ويحدد إستراتيجيته البنائية⁽¹⁹⁾، فوحدة العمل تدل على تماسكه وانسجامه بدءا من مقدمته.

1-4-وظيفة الصدقية: إن الإجابة عن سؤال لماذا يبنني على مدى صدقية الكاتب وواقعيته فيما يكتبه في مقدمته عن

عمله/كتابه، وما ينتظره جمهوره منه، فمصدقية الكاتب من مصداقية عمله.

1-5-الوظيفة التقييمية: وهي أيضا وظيفة الصاعقة، من خلالها يُصعق عمل المؤلف ويقيم، لأنه يضع كل مادته/عمله

على محك التقييم، فيكون هذا التقييم ذاتيا متموقعا في المقدمة، فمثلا كثير ما يذكر الكاتب في مقدمته على أنه غير راض على ما كتبه في مؤلفه، وأنه بإمكانه أن يكتب أحسن من هذا⁽²⁰⁾، كما يمكن أن تكون هذه المقدمة التقييمية موضوعا من طرف شخص آخر مبديا من خلالها رأيه النقدي في العمل، وبهذا فهو يعمل على صعق الكتاب أي تقييمه.

2-وظائف سؤال كيف؟ :

وبعد تجاوزنا لوظائف سؤال لماذا، وما يمارسه على موضوع المقدمة من بلاغة التقييم، سنكتشف شيئا فشيئا

سؤالاً يحاول البحث في الكيفيات التي تبنى عليها المقدمة (النقدية) وتفسر، فالكاتب من خلال مقدمته يريد أن يفسر **كيف يمكننا قراءة كتابه**، ونحن بهذا سنكون في وضعية سيئة للرد، فكما يقول نوفاليس: " المقدمة تضع لنا الطريقة

¹⁸ - G.Genette, seuils, ed. du seuil, paris, 1987, pp.200-201.

¹⁹ - المرجع نفسه، ص 202-203.

²⁰ - المرجع السابق، ص 204-209-210.

المناسبة لاستعمال الكتاب " (21)، فبسؤال الكيفية نستطيع فهم الكتاب وعنوانه، والكشف عن معناه وتحديد جنسه وجمهوره المختار، وحتى موثيقه القرآنية وسياقاته المحتملة، فسؤال الكيفية هو من بين الموجهات المنظمة لقراءتنا أولاً وأخيراً، لهذا يطرح عليها وظائف متعددة منها:

1-2- الوظيفة التكوينية: فبسؤال الكيفية نستطيع المقدمة الأصلية إخبار القارئ عن أصل الكتاب، وظروف تأليفه وتحريره... (22)، وعن مراحل تكوينه.

2-2- وظيفة اختيار الجمهور المستهدف:

ليس من وظيفة المقدمة إرشاد القارئ وتوجيهه فقط، ولكن معرفة ما يريد قراءته أيضاً، وهذا لا يتأتى للكاتب دائماً، فهو لا يعرف قراءه، بيد أنه بإمكانه أن يختار جمهوره بتعيينه في المقدمة، كأن يوجه كتابه لفئة الشباب، أو أن يوجه قصصه للأطفال، ورواياته لفئة النساء، كذلك يمكن للأعراف الأدبية أن تلعب هذا الدور، والتي أصبحت تعرف/وتعيّن اختيار الجمهور (23).

2-3- وظيفة التعليق على العنوان: من وظائف المقدمة التي يتخذها سؤال كيف؟، هو التعليق على العنوان وتبرير (طوله أو قصره) وضعه.

فسؤال الكيفية في المقدمة يجيب مفسراً لعنوانه وشارحاً له (24)، كما يمكن أن يطال هذا التعليق العنوان الفرعي للكتاب، فالتعليق على العنوان يكون إما:

- دفاعاً عن الانتقادات الموجهة للعنوان والكتاب عامة.

- وإما تبريراً للتغيير الذي حدث للعنوان، كما سبق وأن أعلن عنه في الصحف أو الملاحق الثقافية.

- وإما تصحيحاً للعنوان حرصاً على عدم الوقوع في الآراء المغرضة.

كما يمكن لهذه التعليقات أن لا ترد في المقدمة الأصلية، فيعمل الكاتب على تداركها في مقدمات لاحقة أو متأخرة، قصد تبرير هذا التغيير أو أن يدافع عن عنوانه، غير أن هذه الوظيفة التعليقية للعنوان التي تتموضع في المقدمة، قد أصبحت اليوم تتواجد في كلمة الناشر لأنها أكثر قرباً وظهوراً (25) منها في المقدمة.

2-4- وظيفة التأشير السياقي: وللمقدمة وظيفة أخرى، وهي أن تأتي مؤشراً لفهم السياق الذي ينخرط فيه الكتاب، ولا يمكن للقارئ فهمه بدونها، فهو يضعه في حالة انتظار؛ لأن الكتاب يعد جزءاً من مجموعة كتب لا بد أن تفهم في سياقها العام.

لهذا يضع الكاتب تنبيهات تُوشر على السياق، خاصة في الكتب ذات الأجزاء والمجموعات (26)، فالمقدمة على هذا النحو ذات وظيفة سياقية وتنبيهية لأعمال الكتاب.

2-5- الوظيفة القصصية: تعد من بين الوظائف المهمة للمقدمة الأصلية، لتقديمها تأويلاً للنص من طرف الكاتب وفيه يعلن عن قصده، كأن يقول "هذا ما أريد فعله/قصده (في الكتاب)" (27)، إلا أن هذا لا يصدق دائماً، خاصة إذا كنا أمام عمل أدبي يضم مقصدياته أكثر مما يصرح بها.

21- G.Genette, seuils, ed. du seuil, paris, 1987, pp.212.

22- المرج نفسه، ص 213-214.

23- نفسه، ص 215.

24- نفسه، ص 216-218.

25- المرجع نفسه.

26- المرجع السابق، ص 222-223.

27- نفسه، ص 224-227.

7- الوظيفة الإجناسية:

وهي من وظائف المقدمة الموضوعاتية والشكلية تعمل على تعريف الأولي بجنس العمل ككل، فالمقدمة تعمل عمل المؤشر الجنسي بتحديد طبيعة العمل، هل هو عمل تاريخي أو فلسفي أو روائي أو شعري أو مسرحي...، لأن خطاب المقدمة خطاب محدد لجنس العمل المدروس، فهي نوع من أنواع الخطاب (28).

لهذا فإن الوظائف الكثيرة للمقدمة ستترك الكتاب يفكرون في أهمية وجودها وحضورها، لقدرتها على الاختفاء وتملصها على الظهور، فكثيرة هي الأعمال التي لا نجد لها مقدمة، فبعض الكتاب لا يجدون ضرورة في حضور المقدمة كشكل أو عنصر مناصي.

فالمقدمة تعمل على تكاسل القارئ عن إتمام العمل ككل بالتوقف عنده فقط، وإن كانت الوظيفة الأساسية للمقدمة هي حمل القارئ على متابعة قراءة الكتاب وإتمامه.

ثانيا: حركية المقدمة النقدية في السرد القطري:

ما يزال الناقد العربي يعيش في دوامة معرفية وحيرة نقدية، ما بين الاعتناء بهذه العتبات أو إهمالها، ومرد هذا أننا لم نول اهتماما كبيرا بمدخل النصوص في النقد العربي التقليدي الذي لم يكن قد خرج بعد من اعتنائه بخارجية النص وسلطة مؤلفه عليه، وإن نظر إليها لا يكون إلا عرضا يربطها بمقصدات الكاتب وانتمائه المذهبي، دون محاولة فهمها أو تفكيكها، فهو فمثلا لا يقف عند المقدمة بل يتجاوزها مباشرة إلى تحليل النص، لأنها في رأيه غير ضرورية لا تغني عن النص شيئا (29).

فالباحث في خطاب المقدمة النقدية في السرد العربي عامة ومنه المقدمة النقدية في السرد القطري، سيجد قطيعة بيّنة مع صنعة التأليف التي اجتهد العلماء القدامى في ترسيخها تنظيرا وتطبيقا في فنون الكتابة في عصر لم يعرف الطباعة ولا الكتاب الرقمي، غير أن الكتاب العرب المعاصرون والنقاد لم يعدوا إلى هذا الميراث الفني في أصل الكتابة والتدوين، بل انطلقوا مباشرة مما أنتجته صناعة الكتاب والفنون المطبعية الغربية التي ساعدت في تطوير درس العتبات، منتاسين ذلك الموروث الحضاري والثقافي في تأليف الكتاب، هذا سؤال كبير يحتاج منا إلى طول نظر لنعرف أسبابه مسبباته من عصر النهضة إلى الآن.

ولهذا سنتابع بالبحث والحفر حركية المقدمة النقدية في السرد القطري والبنيات الناظمة لها، وما عرفته من أنواع ووظائف، ومن خلال قراءتنا الحفرية للمدونة السردية القطرية المشتغل عليها، وجدنا أنها لا تخرج عن هذه المقدمات المذكورة:

1- المقدمة الذاتية في السرد القطري:

وهي تلك المقدمة التي يكتبها المؤلف لعمله الإبداعي، وتكون إما تعريفية بالعمل، وإما تحليلية نقدية له، وإما تأسيسية لنوع جديد من الكتابة الأدبية (30)، وهي ما عليه مقدمة المجموعة القصصية (بنات إبليس) لمحمد الهاجري؛ إذ عنون مقدمته بـ(كلمة) يقول فيها: "عندما نشرت مجموعتي القصصية الأولى بعنوان (البلاغ...وقصص أخرى) لم أكن أتوقع أن تبلغ ما بلغت من الانتشار والقبول بين الناس، على الرغم من معرفتي المسبقة بقلة المتذوقين لفن القصة

²⁸ - G. Genette, seuils, ed. du seuil, paris, 1987, pp. 227-232.

²⁹ - يجعل الناقد (هـ.ميتيران) الخطاب المقدماتي خطابا إستراتيجيا لا يمكن تجاوزه في الاشتغال:

- Henri Mitterand, le discours du roman, ed. p. u. f, paris 1986, p. 21.

³⁰ - انظر مصطفى السلوي، عتبات النص، المفهوم والموقعية والوظائف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 22، ط1، 2003، وجدة، المغرب، ص 71.

القصيرة، على الرغم من تلك الإحباطات الكثيرة التي سمعتها من أهل الخبرة في مجال التأليف بأنني لن أجد من يقرأ لي ولا من يقتني قصصي...⁽³¹⁾، فهذه مقدمة تعريفية تحفيزية لجنس أدبي يعرف تجاذبات نقدية بالساحة الثقافية العربية، فما بالك في الساحة الثقافية القطرية، لكن أفق توقعه قد خرقه قارئ يبحث عن جنس يعبر عنه ويسمع صوته، لهذا يترك حبل الود القرائي والتواصل مع قارئه الذي وجد صورة عنه في قصصه، فهو يستضيفه في عالمه السردي دون أن يشوه ما بناه بحكم متسرع، يقول: "وأنا هنا أقدم للقارئ الكريم قصصي في هذه المجموعة، لأرجو أن يكتمل التواصل بيني وبينه، رغبة مني في أن يستأنس بها، وأن يعجب بها، أو أن يخرج منها بما يريد أو أن يتركها هكذا فلا يشوهها بنقد جارح أو تفسير خاطئ..."⁽³²⁾.

2- المقدمة النقدية الغيرية في السرد القطري:

المقدمة الغيرية تكون في العادة موكلة لطرف ثالث غير الكاتب والناشر، يقوم صاحبها بدور تحفيزي للقارئ من خلال تقديم شهادته حول المؤلف⁽³³⁾، أو طرح بعض القضايا الفنية والجمالية في النص، وغالبا ما يكون هذا المقدم ناقدا متخصصا أو مبدعا مشهورا.

أما بالنسبة إلى المقدمات النقدية الغيرية للسرد القطري، فقد تنوعت جهات إصدارها، فنجدتها تصدر عن هيئات رسمية، أو من نقاد متخصصين، أو من مبدعين مهتمين بقضايا السرد عامة:

2-1- المقدمة النقدية الغيرية من هيئات ثقافية: جرت عادة وزارة الثقافة والفنون والتراث في دولة قطر - وزارة

الثقافة والرياضة حاليا- ممثلة في إدارة البحوث والدراسات الثقافية، أن تقدم لإصداراتها الإبداعية أو الثقافية عامة، وهي بذلك تريد أن تكون صوتا فاعلا داخل المؤسسة الثقافية العربية تسمع أصوات أبناء بلدها وأبناء الأمة العربية وتحتضنهم، لهذا جاء في تقديم المجموعة القصصية للقاصة بشرى ناصر (عناكب الروح): "مع كل كتاب جديد يصدر عن وزارة الثقافة والفنون والتراث بدولة قطر، تحاول إدارة البحوث والدراسات الثقافية إلقاء الضوء على منجز إبداعي أو معرفي قطري أو عربي بل حتى الأجنبي من خلال ترجمة العديد من الأعمال العالمية"⁽³⁴⁾، ولا تكتفي الهيئة بالتقديم فقد، بل تقدم رؤيتها للنقدية لإصداراتها، بأنها تختار الأعمال الإبداعية المتميزة ذات الحضور في الوسط الأدبي المحلي والعربي: "(عناكب الروح) كتاب جديد للقاصة بشرى ناصر، وهي قاصة متميزة لها حضورها في الوسط الأدبي القطري والعربي، فقد أصدرت عددا من المجاميع القصصية كما أن لها عددا من البحوث الفكرية المهمة. وتتميز كتاباتها بموقفها المدافع عن المرأة والداعي إلى أن تكون عنصرا فاعلا في المجتمع...."⁽³⁵⁾.

وهذا التقديم من إدارة البحوث والدراسات الثقافية، تتكرر مع إصداراتها، وهي تقدم للطبعة الثانية من رواية (الفريج)، والتي اعتنت بمراحل مهمة من تاريخ المجتمع القطري، والهيئة تقدم تعريفا بالرواية وأهم مضامينها للقارئ الذي وجد فيها بغيته:

³¹ محمد الهاجري، بنات إيليس، مجموعة قصصية، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 1997، (مقدمة المؤلف)، ص 7.

³² المرجع نفسه، ص 8.

³³ عبد الملك أشهبون، عتبات الكتابة في الرواية العربية، دار الحوار، ط1، 2009، سوريا، ص 127.

³⁴ بشرى ناصر، عناكب الروح (قصص قصيرة)، منشورات إدارة البحوث والدراسات الثقافية، ط1، وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2013، دولة قطر، (مقدمة القصص)، ص 5.

³⁵ المرجع نفسه.

" تتناول رواية (الفريج) للكاتب والشاعر السوري الراحل إسماعيل تامر، التي تصدر طبعها الثانية، مراحل مهمة مر بها المجتمع القطري، بدءاً بمرحلة الغوص، مروراً بكساد اللؤلؤ وسنوات العسرة، تلك التي خبر فيها الإنسان الخليجي شطف العيش وقلة الرزق، وصولاً إلى الطفرة الاقتصادية التي بدأت في الخمسينيات والستينيات.⁽³⁶⁾ كما تشير الهيئة لتحقيق أهدافها من خلال مثل هذه الإصدارات التي تنمي ذائقة الناشئة والقارئ المحلي، وتعزيز الانتماء وصور الذاكرة الجمعية: " لقيت الطبعة الأولى من الرواية، التي صدرت عام 2001 ونفدت نسخها، إقبالاً كبيراً عليها، خاصة من قبل طلاب المدارس، وهذا ما تهدف إليه إدارة البحوث والدراسات الثقافية بوزارة الثقافة والفنون والتراث، أن تجد كتبها القبول والاستمتاع بقراءتها لدى المتلقي، أمله أن يتلقاها الجيل الجديد ويطلع عليها ليعرف ما كان يعيشه آباؤه وأجداده وما عانوه من شطف العيش، ويترحم عليهم لما قدموه، شاكرًا الله سبحانه على ما أنعم به عليه"⁽³⁷⁾، وبهذا تحرك هذه الجهة الرسمية، الأهمية الاجتماعية في مجتمع يعرف من تحولات وتغييرات، وأهمية ثقافية لما يحصل في المشهد الثقافي القطري من خلال تواتر في نشر مجموعات إبداعية تعد صوتاً للمجتمع القطري.

2-2- المقدمة النقدية الغيرية لناقد متخصص: تمثل لهذا النوع من المقدمة بمقدمة الناقد المتخصص حسام الخطيب، عن المجموعة القصصية (الحضن البارد) لحسن رشيد، والتي انطلق فيها من وظيفة تقييمية تخصصية، ليكشف عن الأهمية التاريخية لهذه الشخصية الرائدة في عالم القصة في دولة قطر، كما يظهر من خلالها الأهمية الفنية فيما يكتبه هذا المبدع، إذ يربط الناقد عالم حسن رشيد القصصي بعالم البساطة البعيد عن التعقيد لأنه يغرف من اليومي البسيط، والذاكرة الجمعية، يقول: " الماضي يعود، نعم بقوة ورفعة عاطفة، في العالم القصصي الذي يبتدعه حسن رشيد بليونته وبساطة، بعيداً عن التفلسف أو التحليل أو استقاء العبر، أو حتى التحسر... هو عالم الإنسان والقطرة والبساطة المريحة والتصرف المبرراً من الخداع والتصنع والمظاهر الكاذبة."⁽³⁸⁾

لينظر الناقد في البناء القصصي للقاص كيف أثت أمكنته، وتعامل مع أزمته، والتفاعل الحاصل مع شخصياته، لأن كل هذا ملتصق بخزانة الذكريات، يقول: " إن هاجس الذكريات المتصلة بأثراب الطفولة، والحارات الضيقة الملتوية، والشخصيات الغريبة ذات الطابع الخاص في الأسرة أو في الحي، أو العادات السلوكية التي كانت تجمع الناس يوم أن كان الحي وحدة عضوية ذات نبض مشترك، هذه هي المرتكزات الرئيسية التي يبني على أساسها العالم القصصي للمجموعة الراهنة"⁽³⁹⁾، وهذه الرؤية الحياتية البسيطة في القصص، فجرت العديد من الأسئلة الحضارية والوجودية في ذهن السارد، خاصة أسئلة الماضي وقيمه في الحاضر؟ وأين ذهبت بساطة وصفاء الناس قديماً عكس ما هم عليه الآن، والطفل السارد تكبر في عينيه كل هذه الأسئلة، فالماضي في العالم القصصي عند حسن رشيد أسئلة لأجوبة مؤجلة إلى حين، لهذا كانت القصص تقول رؤيتها الواقعية بكل بساطة عالمة: " إن انتماء حسن رشيد انتماء واقعي، مضمونا وموقفاً وشكلاً، لكنه ليس ذلك الانتماء الجامع المتمزمت أو الموضوعي البارد، وكذلك ليس انتماء حاراً

³⁶ - إسماعيل تامر، رواية الفريج، منشورات إدارة البحوث والدراسات الثقافية، ط2، وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2012، دولة قطر، (مقدمة الرواية)، ص 5.

³⁷ - المرجع نفسه.

³⁸ - حسن رشيد، الحضن البارد (مجموعة قصصية)، قسم الدراسات والبحوث، إدارة الثقافة والفنون، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، 2001، دولة قطر، (مقدمة الناقد حسام الخطيب، الانتماء إلى الأيام الطيبة)، ص 9.

³⁹ - المقدمة النقدية للمجموعة القصصية الحضن البارد، ص 9-10 .

ساخنا مفعما بالحماسة والتدفق. إنه -على الأرجح- انتماء ابن البلد الأصيل الجذري الموشح بلمسات عاطفية ناعمة وبحنين دائم إلى أيام الماضي الطيبة...⁽⁴⁰⁾.

ليختم الناقد مقدمته بالعودة لإحياء المؤلف من جديد بعدما قتلته الدراسات النصية، لأن وهج الحياة، وبهجة السرد يصنعها القاص بتفاعله مع اليومي والمعيش ببساطة دون تكلف، وهذا ما يصنع من الأسلوب إنسانا رفيع القيم محبا لوطنه ومعتزا بانتمائه، كما هو عليه القاص حسن رشيد، الذي لا يمكن إلا أن تحبه يقول: "إن قيم البساطة والتواضع، والوفاء والانتماء للبلد والحي، والحفاظ على الصداقة، والتحسس بآلام الناس والتعاطف الإنساني ورفض الشر والخداع والتصنع، كل هذه القيم تحملها القصص الحالي مضمونا وشكلا وأسلوبا... إن حب الناس للمؤلف جزء من لعبة الإيهام بالواقع وعمق التأثير، ولم يكن ممكنا أن نختم هذه المطالعة إلا بالحب على طريقة الشاعر الألماني ريلكه، فالنقد أيضا حب مثلما هو تميّر"⁽⁴¹⁾

2-3- المقدمة الغيرية لمبدع ناقد: وهذا ما طرحه القاص حسن رشيد في تقديمه لمختارات قصصية قطرية، بعنوان (أصوات من القصة القصيرة في قطر)⁽⁴²⁾، وهو ليس ناقدًا فقط بل هو ممارس لفعل القص، وشاهد على العديد من التجارب القصصية في المشهد السردى القطري، لهذا جاءت مقدمته تحمل وظيفتين، وظيفة وصفية للظاهرة القصصية للسرد القطري، ووظيفة انتخابية لتجارب ثلاثة أجيال من القص القطري، تحمل في طياتها معنى التقييم، لأن المبدع الناقد لا ينتخب إلا النماذج المعبرة عن القيمة الجمالية للقصة القصيرة في دولة قطر.

ولهذا من بداية المقدمة النقدية، تظهر وظيفة الأهمية التاريخية والأدبية للأجيال المتعاقبة على القصة القصيرة القطرية، وهذا من خلال ما رصده من أصوات قصصية في مقدمته النقدية، يقول: "هذه مختارات من القصة القصيرة نضعها بين يدي القارئ. وهي تشكل توليفة متميزة من القصة القصيرة في دولتنا الحبيبة... كما أن هذه المختارات إجمالاً تطرح نماذج للأجيال الثلاثة المتمازجة. بدءاً بجيل الريادة المتمثلة في قصص يوسف النعمة وإبراهيم المريخي... مروراً بجيل الوسط الذي تحمل عبء تقديم القصة القصيرة للمهتمين من النقاد والدارسين. وأخيراً الجيل الجديد الذي يحاول قدر المستطاع أن يجد له مكاناً وسط كتاب القصة في دول المنطقة أولاً والعالم العربي ثانياً"⁽⁴³⁾.

وهنا يظهر لنا الرصد التاريخي من قبل القاص الناقد، للمشهد القصصي القطري، من البدايات مع جيل الرواد، إلى جيل الامتدادات التي أراد أن يضع بصمة سردية مميزة للقصة القصيرة في قطر، إلى جيل التجريب الذي أراد أن يغني يحدد من فعل القصة من خلال تنويع مرجعياته القرائية وأشكاله الكتابية، لهذا يقول: "...ونحن نطرح هذه المختارات. وأن نضيف إلى تاريخ القصة القصيرة بعداً جديداً... فمشوار الألف ميل كما قيل يبدأ بخطوة

... ونحن قد قطعنا خطوات عدة... في مشوارنا البسيط والممتع والمتعب في آن واحد"⁽⁴⁴⁾ وبهذا ندخل مرحلة تكوينية للقصة القصيرة القطرية التي رصدت بعين المبدع الناقد، وهو يقدم لنا نماذج بنائية حددت مسار القصة القصيرة في قطر، من خلال بعض الرؤى النقدية والدراسات الأدبية، يقول: "...ما يهمننا طرح (النموذج) في مسار

⁴⁰ - المرجع نفسه، ص 14 - 15.

⁴¹ - نفسه، ص 19 - 20.

⁴² - حسن رشيد، أصوات من القصة القصيرة في قطر، قسم الدراسات والبحوث، إدارة الثقافة والفنون، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، 2001، دولة قطر.

⁴³ - المرجع نفسه (المقدمة النقدية للكتاب)، ص 5.

⁴⁴ - حسن رشيد، أصوات من القصة القصيرة في قطر (مقدمة الكتاب)، ص 18.

القصة بشكل طبيعي... وهل تطور هذا الفن الذي يعتبر بلا شك أسبق الفنون في الظهور على الساحة الإبداعية... من هنا فإننا لا نهتم في عجلة من الأمر بتقديم الشرح أو فك طلاسم بعض الأعمال... لأن بعض الأقلام قد أخذت جزءا من حقها من خلال الدراسات الجادة... ولكن هذا لا يمنع أن نطرح نموذجين لبعض الدراسات النقدية الجادة، حول قصتين من قصص المختارات :

- 1- دراسة الأستاذ أنور جعفر حول قصة الغريب، في إطار النقد التقليدي
- 2- دراسة الأستاذ فراج الشيخ الفزاري حول قصة الطعم في إطار النقد البنوي⁽⁴⁵⁾

كما أن هذه المقدمة النقدية تحركها وظيفة سياقية تضعنا في واقع المشهد القصصي القطري الذي عرفت كتابته الإبداعية انحصارا بتواري بعض الأصوات القصصية لأسباب عدة منها تجاهل هذا الجنس الأدبي من قبل القراء على حساب الشعر فصيحاً كان أو نبطياً، أو عدم وجود محفزات معنوية ودعم مادي من الوسط الثقافي لهؤلاء الكتاب على الرغم من أسماع صوتهم في محافل عربية كثيرة، وهذا ما أشار إليه المبدع الناقد، بقوله:

"... كما أن هذه المختارات لا تضم كل الأعمال، لكنها نقطة في بحر القصة القصيرة في قطر، ولبعض الأسماء والرموز الذين ساهموا قدر المستطاع في تأصيل وبروز القصة محلياً، وحاولوا أن يخرجوا بأعمالهم خارج حدود الوطن، كما أنهم قد وصلوا النشر في ظل ظروف أقل ما توصف بأنها محببة لعدة اعتبارات، منها على سبيل المثال لا الحصر، عدم الاهتمام الحقيقي بالكتاب المحلي و بإنتاجه، فكثير من المجموعات القصصية تصدر وتختفي دون الاهتمام بعالم الكاتب وقصصه"⁽⁴⁶⁾، إلا أن هناك سياقات ثقافية عرفت في الفترة نفسها وبعدها أسهمت في إبقاء وتيرة الكتابة الإبداعية منسجمة مع الحالة الثقافية العامة، وكانت الروافد الثقافية من صنع المبدعين أنفسهم، إما من خلال إسماع أصواتهم في بعض الصحف والمجلات، أو من خلال منبر نادي الجسرة الثقافي، أو ما كانت تقدمه إدارة الثقافة والفنون في ذلك الوقت من دعم بنشر بعض المجموعات القصصية، ولهذا يشير المبدع الناقد:

"... هناك بعض النوافذ التي يطل منها بعض الكتاب، وقد يجدون بعض الدعم المادي أو التشجيع المعنوي، ويتمثل هذا في تشجيع إدارة الثقافة والفنون من خلال نشر بعض المجموعات، ومساندة بعض الأصوات في تقديم نتاجها الأدبي، وأيضاً وقوف إدارة الشباب في الهيئة العامة للشباب والرياضة خلف المواهب الشابة وإصدار نتاجهم القصصي... أما دور نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي، فدور حيوي من خلال الصالون الأدبي...."⁽⁴⁷⁾

نتطالعنا الوظيفة التقييمية، التي حملها المبدع الناقد من خلال الحركة النقدية التي رافقت بعض الأعمال الإبداعية على احتشام من قبل بعض النقاد، لأنه يؤمن بأن هذه الأعمال الأدبية هي : "... في حاجة ماسة إلى النقد والتوجيه، وتحليل الأعمال المختلفة، والساحة مع الأسف لا تلقي بالاً إلى هذه الأعمال... والاقتراب يكون هامشياً"⁽⁴⁸⁾، إلا أننا لا نعدم في رأيه من وجود مقاربتها للأعمال الإبداعية من منظورات نقدية متعددة : " لا ننكر أن هناك دراسات بسيطة قد نشرت حول بعض المجموعات وأن هناك بعض الدراسات الجادة حول بعض الأعمال، ولكن هذه الدراسات ظهرت في فترات بعيدة ولا تضم كل شتات (القصص). ويمكن أن نحصرها في هذه الدراسات:

- 1- سبعة أصوات في القصة القصيرة، نشرت عام 1983م من قبل وزارة الإعلام.

⁴⁵ - المرجع نفسه، ص 6.

⁴⁶ - حسن رشيد، أصوات من القصة القصيرة في قطر (مقدمة الكتاب)، ص 8، كذلك ما ورد في الصفحة 9.

⁴⁷ - المرجع نفسه.

⁴⁸ - نفسه، 12.

- 2- القصة القصيرة في قطر وهي دراسة للأستاذ الدكتور محمد عبد الحميد كافود، نشرتها جامعة قطر 1985م.
- 3- إدارة الشباب، الهيئة العامة للشباب والرياضة، ونشرها مجموعة من القصص للكتاب بدراسة خاصة من قبل الدكتور مراد عبد الرحمن مبروك، عام 1998م.
- 4- الندوات الخاصة بالصالون الأدبي بنادي الجسرة، خلال المواسم السابقة ودور بعض الأساتذة الأجلاء في إلقاء الضوء على الإبداع المحلي، وبخاصة القصة القصيرة...
- 5- الدراسة النقدية والتي صدرت أخيرا تحت عنوان: جدلية العجز والفعل في القصة القصيرة في قطر، تأليف: حسن رشيد، الدكتور مراد عبد الرحمن مبروك، بإشراف قسم الدراسات-إدارة الثقافة والفنون.
- 6- ورشة القصة القصيرة، ودور إدارة الشباب في إقامتها.... " (49).

وأخيرا وجدنا أن هناك وظيفة للمقدمة النقدية، هي وما اسميناها بالمقدمة الواصفة، فالمبدع الناقد يتكلم في مقدمته، عن الدور الذي لعبته المقدمات المصاحبة للمجموعات القصصية التي حددت مرجعياتها المعرفية وتوجهاتها الكتابية، وغالبا ما كانت ذات توجه واقعي وإن أوهمتنا بتخييلته على مستوياته البنيوية والأسلوبية، يقول: " من هنا فإن فترة السبعينيات، فترة الغزارة الإنتاجية من ناحية الكم وإن كان جل الكتابات القصصية قد طرحت ضمن إطار من الواقعية التي هي أقرب إلى الطبيعة، وهذا ما نلاحظه مثلا في المقدمة القصيرة لبعض القصص (إن هذه القصة واقعية، وشخصها أحياء)، كما أن هذه القصص تحمل طرعا أخلاقيا في معظم الأحيان، مثل عقوق الأبناء، الغرور، التكبر، الدراسة في الخارج والعودة بأفكار غريبة، والنهايات في القصص صرخة احتجاج على الوضع المغلوط..." (50)

وبهذا نجد بأن المقدمة النقدية الغربية التي يكتبها المبدع بحس الناقد، ستعبر عن واقع الإبداع في عمقه، لأنها جمعت إليها التجربة السردية إلى جانب الممارسة النقدية.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة البحثية مع خطاب المقدمة عامة، وخطاب المقدمة النقدية تحديدا، تبين لنا أن خطاب العتبات ما يزال في حاجة إلى دراسات نقدية عديدة لتأصيله في الدرس النقدي العربي المعاصر، وهذا ما حاولناه في بحثنا، تنظيرا لوضع حدود ومحددات المقدمة النقدية، ثم تطبيقا من خلال اختيارنا لعالم سردي ما يزال البحث فيه بكرا أيضا وهو السرد القطري، إلا أننا وجدنا فيه مبتغانا النقدي، لاحتفاء النقاد بهذه النصوص ووضع مقدمات نقدية لها، وهذا بحد ذاته يعد ظاهرة نقدية لا بد من الالتفات لها وفق المقاربات الشعرية الحديثة، لدراسة العتبات النصية.

ولكن أهم نتيجة توصلنا إليها من خلال البحث، أن الوعي التراثي بخطبة الكتاب ومقدمته، يحتاج من الناقد العربي أن يجدد من خطابه النقدي، وهذا بتجديد الآلية المتبعة في قراءة النصوص السردية وفق النظريات الحديثة، كما أن النصوص الأدبية تعرف حراكا يوازي الحراك النقدي الذي يقاربها، والدليل على ذلك المقدمات النقدية التي صدرت بها النصوص السردية القطرية المدروسة، وأنواع المقدمات التي استتقنا مكوناتها، وكشفنا عن وظائفها، وهذا دافع آخر للناقد العربي، أن يغير عاداته في قراءة النصوص، من خلال تعميق النظر في مداخل النصوص وعتباتها، وبهذا فقط سيجدد خطابه النقدي، ليصبح واضح المعالم، يبين المفاهيم، يقارب النص من أوله، قبل مساعلة كينونته، فالمقدمة

⁴⁹ - حسن رشيد، أصوات من القصة القصيرة في قطر (مقدمة الكتاب)، ص 12-13.

⁵⁰ - المرجع نفسه، ص 16، وينظر أيضا ص 6.

النقدية تحمل هم السؤال النقدي معها، ليس من داخلها فقط ولكن من مداخلها وعتباتها، وهذا رهان الناقد المجدد والنقد المتجدد.

• المصادر والمراجع:

• المصادر:

- إسماعيل تامر، رواية الفريخ، منشورات إدارة البحوث والدراسات الثقافية، ط2، وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2012، دولة قطر.
- بشرى ناصر، عنكب الروح (قصص قصيرة)، منشورات إدارة البحوث والدراسات الثقافية، ط1، وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2013، دولة قطر.
- حسن رشيد، الحزن البارد (مجموعة قصصية)، قسم الدراسات والبحوث، إدارة الثقافة والفنون، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، 2001، دولة قطر.
- // //، أصوات من القصة القصيرة في قطر، قسم الدراسات والبحوث، إدارة الثقافة والفنون، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، 2001، دولة قطر.
- محمد الهاجري، بنات إبليس، مجموعة قصصية، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 1997.

• المراجع باللغة العربية:

- ابن الأثير، الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة المآخذ الكندية في المعاني الطائفة، ت: حفي محمد شرف، مكتبة أنجلو المصرية، ط1، 1958م، مصر.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار الصادر، مج 6، 1978م، بيروت، لبنان.
- ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، ط3، سنة 1993، بيروت، لبنان.
- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، دار الصادر، د.ت، بيروت لبنان.
- الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، د.ت، بيروت، لبنان.
- عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص (دراسة في مقدمات النقد العربي القديم)، دار إفريقيا الشرق، 2000، المغرب.
- عبد المالك أشهبون، عتبات الكتابة في الرواية العربية، دار الحوار، ط1، 2009، سوريا.
- مصطفى السلوي، عتبات النص (المفهوم والموقعية والوظائف)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رقم 71، جامعة محمد الأول بوجد، ط1، 2003، المغرب.
- مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب (قسم الأدب)، دار العلم للملايين، ط11، 1998، بيروت لبنان.
- يوسف الإدريسي، عتبات النص (بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر)، منشورات مقاربات، ط1، 2008، المغرب.

- المراجع باللغة الأجنبية:

- Henri Mitterand, le discours du roman, ed. p.u.f, paris 1986. G. Genette, seuils, ed. du seuil, paris, 1987. Jaques Derrida, La Dissémination, ed. du seuil, paris 1972.
- Philipe Rioux, la préface de roman Québécois du XIX siècle et ses discoure, Mémoire de la Maitrise, direction de recherche Marie-Pier Luneau, Département des lettres et sciences humaines, Université de Sherbrooke, Aout 2014 .